

## المحاضرة الثامنة

### نظرية التعبير

#### مقدمة:

نظرية التعبير انعكاس للتغيرات الجذرية التي هزّت المجتمع الأوروبي بعد حدث الثورة الفرنسية على الإقطاع وهيمنة الطبقة الوسطى، وقيام ثورة صناعية واقتصادية أفضت إلى تبلور الروح الفردية ونموها، بعدما احتكم الإقطاع إلى العقل وقنن العواطف والانفعالات.

فقد شهد المجتمع الأوروبي في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، تغيرات جذرية في شتى المجالات: الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والثقافية، وذلك إثر ظهور نظام البورجوازية الذي حل محل النظام الإقطاعي، فتولدت قيم جديدة كان لها أثر كبير في تاريخ الأدب والنقد، إذ ظهرت فلسفات جديدة وأدب جديد، وثار الأدباء على الأدب الكلاسيكي وقواعده. وأفل نجم نظرية المحاكاة وظهر نجم نظرية التعبير التي دعت إلى حرية التعبير، وتحرير الأدب من القيود والقواعد. وقد تبلورت هذه النظرية مع توهج الشعر الرومانسي الأوروبي، ونادت بالدفاع عن ذات الفرد واعتبرت الانفعال المحرك الأساسي للعمل الأدبي.

#### 1- تمظهرات نظرية التعبير:

تقوم نظرية التعبير على الفلسفة المثالية الذاتية التي قدمت الشعور والوجدان والعاطفة على العقل والخبرة والتجربة.

رُفِعَ على الصعيد الاقتصادي شعار "دعه يعمل" "دعه يمر" و على الصعيد الأدبي "دعه يعبر عن ذاته" فكان الفرد و الفردية و الحرية و الديمقراطية أساس المجتمع البرجوازي الجديد. فالفرد في هذه الفلسفة الجديدة عالم قائم بذاته و جوهره الحرية والشعور والوجدان والعاطفة. ويصطلح على هذه الفلسفة بالفلسفة المثالية الذاتية، حيث رفضت الآلية و قالت بالديناميكية، وقدمت الشعور والوجدان والعاطفة على العقل و الخبرة و التجربة.

#### 2- أعلام نظرية التعبير:

##### 1- الفيلسوف الألماني إمانويل كانت E.Kant (1724-1800)

يعد من أوائل المفكرين المنظرين للفكر البرجوازي، والواضعين للأسس الفلسفية لنظرية التعبير. وقد اعتبر الشعور طريق المعرفة الحقيقية، كما فرق بين المعرفة الحسية و المعرفة العقلية.

##### 2- الفيلسوف الألماني هيجل Hegel (1770-1831)

يرى أن مصدر الفن هو الخبرة الخاصة، وماهية الفن مظهر حسي للحقيقة، ومهمة الفن أرفع صور التعبير البشري عن هذه الحقيقة. كما فسر الفن من زاوية الفنان، حيث يرى أن الفنان يدرك

الحقيقة و هي مصورة محسوسة، فالعنصر الحسي يحرك طاقة الخيال لدى الفنان، وبِعَمَلِ الخيال يدرك الفنان الحقيقة.

### 3- الفيلسوف الانكليزي وليام ووردزورت (1770-1850)

كتب في مقدمة ديوانه " غنائيات " : " إن كل شعر جيد هو فيض تلقائي لمشاعر قوية " ويقول عن الشاعر : " وما الشاعر ؟ إنه إنسان كسائر الناس، ولكن الله حباه بنعمة الحماس الفاتر والحس المرهف والحنان العذب، إنه يفوق الناس علما بطبيعة الإنسان ويدرك من جوهر الحياة ما لا يدركه غيره. إنه إنسان فرح بما عنده من إرادة، طرب لما له من عواطف، مغتبط بما يحس من روح الحياة "

إن "ووردزورت اعتبر هدف الشعر هو خدمة الإنسان عقليا وجسديا، ومنح السعادة لروحه، بتوجيه الانفعالات النفسية والتعبير عنها فنيا، مع درجة عالية من الإثارة والمتعة" فالشعر عنده تعبير عن تدفق العواطف والانفعالات، ولغته هي لغة أهل الريف، الذين لم تفسدهم الحضارة، وموضوعاته مستمدة من حياتهم العامة، لأن الأحداث التي تحدث بالأماكن العامة لها طابع سحري و على الشاعر أن يلونها بخياله.

### 4- الفيلسوف و الشاعر الناقد صموئيل تيلور كوليرج ( 1772-1834)

كان شاعرا وفيلسوبا وناقدا، وهو صاحب نظرية الخيال التي يذهب فيها إلى أن الخيال خلق جديد، فهو خلق صورة لم توجد ، وما كان لها أن توجد بفضل الحواس وحدها أو العقل وحده، إنما هو صورة تأتي ساعة تستحيل الحواس والوجدان والعقل كلا واحدا في الفنان بل كلا واحدا في الطبيعة. والخيال عنده نوعان:

- الخيال الأولي: هو خيال العادي عند كل الناس، يُمكنهم من إدراك الأشياء، وهو طريق الوصول إلى المعرفة و الحقيقة.

- الخيال الثانوي: هو الخيال الشعري الذي يتمتع به الشعراء فقط، فهو يكشف عن العلاقة الخفية بين ذات الشاعر و كيفية تصويره للأشياء الموجودة في الطبيعة، وهو أداة الأدب.

### 5- الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ( 1809-1941)

يرى أنه لا يمكن للفن أن يقوم دون انفعال، والانفعال عنده نوعان: أحدهما مجرد اهتزاز للإحساس كرجة تقوم على السطح من غير انتقال ثم تتبدد. والثاني انفعال ينتج عن درجة من المعرفة، تتحد فيها الذات بالموضوع لتصل إلى حالة الإبداع. وهذه الحالة كزلال يعصف في الأعماق مندفع نحو الأمام.

### 6- الفيلسوف الأمريكي جون ديوي ( 1837-1917)

يرى أن كلمة " تعبير " (expression) تعني في جذرها اللغوي " العصر " أو " الضغط " و قد اشتقت من الجذر اللغوي " press " وهذا يفسر لنا عملية الخلق الفني ، فهناك مادة خام قد تشبه العنب، وهناك شيء خارجي قد يشبه معصرة النبيذ، وخلال تحول المادة الخام إلى عصير "

pressure " لا بد من وجود تفاعل بين المادة الخام و الشيء الخارجي، وتتحول المادة الخام خلال هذا التفاعل فتصبح شيئاً جديداً هو العصير.

#### 4- مبادئ نظرية التعبير:

وتقوم نظرية التعبير على المبادئ التالية:

- 1- تقوم نظرية التعبير على الفلسفة المثالية الذاتية.
- 2- الأديب: عالم قائم بذاته، مبدع ومعبر ومبتكر، دون قوانين أو قيود.
- 3- الأدب: إبداع فردي مرتبط بالعواطف والمشاعر والخيال، وهو صورة عما يدور داخل الإنسان.
- 4- المتلقي: منفعل لا دور له في صياغة الصورة، الأدب يوجب عواطفه و يحرك مشاعره الكامنة.